ثم دخلت سنة ثمان وأربعمائة

ذكر خروج الترك من الصين وموت طغان خان

في هذه السنة خرج الترك من الصين في عدد كثير يزيدون على ثلثمائة ألف خركاه من أجناس الترك، منهم الخطابية الذين ملكوا ما وراء النهر، وسيرد خبر ملكهم إن شاء الله تعالى، وكان سبب خروجهم: إن طغان خان لما ملك تركستان مرض مرضاً شديداً، وطال به المرض، فطمعوا في البلاد لذلك، فساروا إليها وملكوا بعضها وغنموا وسبوا، وبقي بينهم وبين بلاساغون ثمانية أيام، فلما بلغه الخبر، كان بها مريضاً، فسأل الله تعالى أن يعاقبه لينتقم من الكفرة، ويحمي البلاد منهم، ثم يفعل به بعد ذلك ما أراد، فاستجاب الله له وشفاه. فجمع العساكر، وكتب إلى سائر بلاد الإسلام يستنفر الناس، فاجتمع إليه من المتطوعة مائة ألف وعشرون ألفاً، فلما بلغ الترك خبر عافيته، وجمعه العساكر، وكثرة من معه، عادوا إلى بلادهم، فسار خلفهم نحو ثلاثة أشهر حتى أدركهم وهم آمنون لبعد المسافة، فكبسهم وقتل منهم زيادة على مائتي ألف رجل، وأسر نحو مائة ألف، وغنم من الدواب، والخركاهات، وغير ذلك من الأواني الذهبية والفضية، ومعمول الصين ما لا عهد لأحد بمثله، وعاد إلى بلاساغون، فلما بلغها، عاوده مرضه فمات منه[1].

وكان عادلاً، خيِّراً، ديناً، يحب العلم وأهله، ويميل إلى أهل الدين، ويصلهم ويقرّبهم، وما أشبه قصته بقصة سعد بن معاذ الأنصاري، وقد تقدمت في غزوة الخندق[2].

وقيل: كانت هذه الحادثة مع أحمد بن علي قراخان، أخي طغان خان، وإنها كانت

---

(١) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٤٦٩)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٢١)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ٤٤٢).

(٢) ذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٤٩، ١٥٠)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٢١)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٣٢٢، ٣٢٣)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٦/ ٥٢، ٥٣).

سنة ثلاث وأربعمائة.

ذكر ملك أخيه أرسلان خان

لما مات طغان خان، ملك بعده أخوه أبو المظفر أرسلان خان، ولقبه: شرف الدولة، فخالف عليه قدرخان يوسف بن بغراخان هارون بن سليمان الذي ملك بخارى[١]، وقد تقدم ذكره.

وكان ينوب عن طغان خان بسمرقند، فكاتب يمين الدولة يستنجده على أرسلان خان، فعقد على جيحون جسراً من السفن، وضبطه بالسلاسل، فعبر عليه، ولم يكن يعرف هناك قبل هذا، وأعانه على أرسلان خان.

ثم إن يمين الدولة خافه، فعاد إلى بلاده، فاصطلح قدرخان وأرسلان خان على قصد بلاد يمين الدولة واقتسامها، وسارا إلى بلخ، وبلغ الخبر إلى يمين الدولة، فقصدهما، واقتتلوا، وصبر الفريقان، ثم انهزم الترك وعبروا جيحون، فكان من غرق منهم أكثر ممن نجا[٢].

وورد رسول متولي خوارزم إلى يمين الدولة، يهنئه بالفتح عقيب الوقعة، فقال له: من أين علمتم؟ فقال: من كثرة القلانس التي جاءت على الماء، وعبر يمين الدولة، فشكا أهل تلك البلاد إلى قدرخان ما يلقون من عسكر يمين الدولة، فقال: قد قرب الأمر بيننا وبين عدونا، فإن ظفرنا منعنا عنكم، وإن ظفر عدونا فقد استرحتم منا، ثم اجتمع هو وقدرخان، وأكلا طعاماً، وكان قدرخان عادلاً، حسن السيرة، كثير الجهاد، فمن فتوحه ختن، وهي: بلاد بين الصين وتركستان، وهي كثيرة العلماء والفضلاء، وبقي كذلك إلى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، فتوفي فيها، وكان يديم الصلاة في الجماعة، ولما توفي، خلف ثلاث بنين: منهم أبو شجاع أرسلان خان، وكان له كاشغر، وختن، وبلاساغون، وخطب له على منابرها.

وكان لقبه: شرف الدولة، ولم يشرب الخمر قط، وكان ديّناً، مكرماً للعلماء وأهل

---

(١) ذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٢١)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ٤٤٢).

(٢) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٤٦٩)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٢١)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٦/ ٥٣).

الدين، فقصدوه من/ كل ناحية، فوصلهم وأحسن إليهم، وخلف أيضاً بغراخان بن قدرخان، وكان له طراز واسبيجاب، فقدم أخوه أرسلان وأخذ مملكته، فتحاربا، فانهزم أرسلان خان وأُخذ أسيراً، فأودعوه الحبس، وملك بلاده. ج٧/٢٩٦/ط

ثم إن بغراخان عهد بالملك لولده الأكبر، واسمه: حسين جغري تكين، وجعله ولي عهده، وكان لبغراخان امرأة له منها ولد صغير، فغاظها ذلك، فعمدت إليه وسمته، فمات هو وعدة من أهله، وخنقت أخاه أرسلان خان بن قدرخان، وكان ذلك سنة تسع وثلاثين وأربعمائة، وقتلت وجوه أصحابه، وملكت ابنه ـ واسمه: إبراهيم ـ وسيّرته في جيش إلى مدينة تُعرف: ببرسخان، وصاحبها يعرف: بينالتكين، فظفر به ينالتكين وقتله، وانهزم عسكره إلى أمه، واختلف أولاد بغراخان، فقصدهم طفغاج خان صاحب سمرقند[1].

ذكر ملك طفغاج خان وولده

وكان طفغاج خان أبو المظفر إبراهيم بن نصر أيلك يُلقب: عماد الدولة، وكان بيده سمرقند وفرغانة، وكان أبوه زاهداً متعبّداً، وهو الذي ملك سمرقند، فلما مات ورثه ابنه طفغاج، وملك بعده، وكان طفغاج متديناً، لا يأخذ مالاً حتى يستفتي الفقهاء، فورد عليه أبو شجاع العلوي الواعظ ـ وكان زاهداً ـ فوعظه، وقال له: إنك لا تصلح للملك، فأغلق طفغاج بابه، وعزم على ترك الملك، فاجتمع عليه أهل البلد، وقالوا: قد أخطأ هذا، والقيام بأمورنا متعين عليك، فعند ذلك فتح بابه، ومات سنة ستين وأربعمائة.

وكان السلطان ألب أرسلان قد قصد بلاده ونهبها أيام عمه طغرلبك، فلم يقابل الشر بمثله، وأرسل رسولاً إلى القائم بأمر الله سنة ثلاث وخمسين يهنئه بعوده إلى مستقرّه، ويسأل التقدم إلى ألب أرسلان بالكف عن بلاده، فأجيب إلى ذلك، وأرسل إليه الخلع والألقاب، ثم فلج سنة ستين.

وكان في حياته قد جعل الملك في ولده شمس الملك، فقصده أخوه طغان خان بن طفغاج، وحصره بسمرقند، فاجتمع أهلها إلى شمس الملك، وقالوا له: قد خرب أخوك ضياعنا وأفسدها، ولو كان غيره لساعدناك، ولكنه أخوك فلا ندخل بينكما، فوعدهم

(١) ذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٦/ ٥٣ ـ ٥٥).

المناجزة، وخرج من البلد نصف الليل في خمسمائة غلام معدّين، وكبس أخاه، وهو غير محتاط، فظفر به فهزمه، وكان هذا وأبوهما حي، ثم قصده هارون بغراخان بن يوسف قدرخان، وطغرل قراخان، وكان طفغاج قد استولى على ممالكهما، وقاربا سمرقند، فلم يظفرا بشمس الملك، فصالحاه وعادا، فصارت الأعمال المتاخمة لجيحون لشمس الملك، وأعمال الخاهر في أيديهما، والحد بينهما خجندة.

وكان السلطان ألب أرسلان قد تزوّج ابنة قدرخان، وكانت قبله عند مسعود بن محمود بن سبكتكين، وتزوّج شمس الملك ابنة ألب أرسلان، وزوّج بنت عمه عيسى خان من السلطان ملكشاه ـ وهي: خاتون الجلالية، أم الملك محمود، الذي ولي السلطنة بعد أبيه ـ وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى ـ ثم اختلف ألب أرسلان وشمس الملك ـ وسنذكره سنة خمس وستين عند قتل ألب أرسلان ـ ثم مات شمس الملك، فولي بعده أخوه خضر خان، ثم مات، فولي ابنه أحمد خان ـ وهو الذي قبض عليه ملكشاه، ثم أطلقه وأعاده إلى ولايته سنة خمس وثمانين ـ وسنذكره هناك إن شاء الله تعالى ـ.

ثم إن جنده ثاروا به فقتلوه، وملك بعده محمود خان، وكان جده من ملوكهم، وكان أصمّ، فقصده طغان خان بن قراخان ـ صاحب طراز ـ فقتله، واستولى على الملك، واستناب بسمرقند أبا المعالي محمد بن زيد العلوي البغدادي، فولي ثلاث سنين، ثم عصى عليه، فحاصره/ طغان خان، وأخذه وقتله، وقتل خلقاً كثيراً معه، ثم خرج طغان خان إلى ترمذ يريد خراسان، فلقيه السلطان سنجر، وظفر به وقتله، وصارت أعمال ما وراء النهر له، فاستناب بها محمد خان بن كمشتكين بن إبراهيم بن طفغاج خان، فأخذها منه عمر خان، وملك سمرقند، ثم هرب من جنده وقصد خوارزم، فظفر به السلطان سنجر فقتله، وولي سمرقند محمد خان، وولي بخارى محمد تكين بن طغانتكين[1].

ج٧/٢٩٧/ط

ذكر كاشغر وتركستان

وأما كاشغر، وهي: مدينة تركستان، فإنها كانت لأرسلان خان بن يوسف قدرخان كما ذكرنا، ثم صارت بعده لمحمود بغراخان، صاحب طراز والشاش، خمسة عشر شهراً، ثم مات فولي بعده طغرلخان بن يوسف قدرخان، فاستولى على الملك، وملك بلاساغون، وكان ملكه ست عشرة سنة، ثم توفي، وملك ابنه طغرلتكين، وأقام شهرين،

(١) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٤٧٢)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٦/ ٥٥ ـ ٥٧).

ثم أتى هارون بغراخان أخو يوسف طغرلخان بن طفغاج بغراخان، وعبر كاشغر، وقبض على هارون، وأطاعه عسكره، وملك كاشغر، وختن، وما يتّصل به إلى بلاساغون، وأقام مالكاً تسعاً وعشرين سنة، وتوفي سنة ست وتسعين وأربعمائة، فولي ابنه أحمد بن أرسلان خان، وأرسل رسولاً إلى الخليفة المستظهر بالله، يطلب منه الخلع والألقاب، فأرسل إليه ما طلب، ولقبه: نور الدولة[١].

ذكر وفاة مهذب الدولة وحال البطيحة بعده

في هذه السنة، في جمادى الأولى، توفي مهذب الدولة أبو الحسن علي بن نصر، ومولده سنة خمس وثلاثين وثلثمائة، وهو الذي نزل عليه القادر بالله، وكان سبب موته: أنه افتصد، فانتفخ ساعده، ومرض منه، واشتد مرضه، فلما كان قبل وفاته بثلاثة أيام، تحدّث الجند بإقامة ولده أبي الحسين أحمد مقامه، فبلغ ابن أخت مهذّب الدولة، وهو: أبو محمد عبد الله بن يني[٢].

فاستدعى الديلم والأتراك، ورغبهم ووعدهم، واستحلفهم لنفسه، وقرر معهم القبض على أبي الحسين بن مهذب الدولة وتسليمه إليه، فمضوا إليه ليلاً، وقالوا له: أنت ولد الأمير، ووارث الأمر من بعده، فلو قمت معنا إلى دار الإمارة، ليظهر أمرك وتجتمع الكلمة عليك، لكان حسناً، فخرج من داره معهم، فلما فارقها، قبضوا عليه وحملوه إلى أبي محمد، فسمعت والدته، فدخلت إلى مهذب الدولة قبل موته بيوم، فأعلمته الخبر، فقال: أي شيء أقدر أعمل وأنا على هذه الحال؟ وتوفي من الغد، وولي الأمر أبو محمد، وتسلّم الأموال والبلد، وأمر بضرب أبي الحسين بن مهذب الدولة، فضرب ضرباً شديداً توفي منه بعد ثلاثة أيام من موت أبيه، وبقي أبو محمد أميراً إلى منتصف شعبان، وتوفي بالذبحة، وكان قد قال قبل موته: رأيت مهذب الدولة في المنام وقد أمسك حلقي ليخنقني، ويقول: قتلت ابني أحمد، وقابلت نعمتي عليك بذاك، فمات بعد أيام، فكان ملكه أقل من ثلاثة أشهر، فلما توفي، اتفق الجماعة على تأمير أبي عبد الله الحسين بن بكر الشرابي، وكان من خواص مهذب الدولة[٣].

---

(١) ذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٦/ ٥٧، ٥٨).

(٢) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٦١١) مختصراً.

(٣) ذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٢١).

فصار أمير البطيحة، وبذل للملك سلطان الدولة بذولاً، فأقرّه عليها، وبقي إلى سنة عشر وأربعمائة، فسيّر/ إليه سلطان الدولة صدقة بن فارس المازياري، فملك البطيحة، وأسر أبا عبد الله الشرابي، فبقي عنده أسيراً، إلى أن توفي صدقة وخلص[١]، على ما نذكره إن شاء الله تعالى. ج٧/٢٩٨/ط

ذكر وفاة علي بن مزيد وإمارة ابنه دبيس

في هذه السنة، في ذي القعدة، توفي أبو الحسن علي بن مزيد الأسدي، وقام بعده ابنه نور الدولة أبو الأغر دبيس[٢].

وكان أبوه قد جعله ولي عهده في حياته، وخلع عليه سلطان الدولة، وأذن في ولايته، فلما توفي والده، اختلفت العشيرة على دبيس، فطلب أخوه المقلّد بن أبي الحسن على الإمارة، وسار إلى بغداد، وبذل للأتراك بذولاً كثيرة ليعاضدوه، فسار معه منهم جمع كثير، وكبسوا دبيساً بالنعمانية، ونهبوا حلته، فانهزم إلى نواحي واسط، وعاد الأتراك إلى بغداد، وقام الأثير الخادم بأمر دبيس، حتى ثبت قدمه، ومضى المقلد أخوه إلى بني عقيل[٣]، ونذكر باقي أخباره موضعها، إن شاء الله تعالى.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة ضعف أمر الديلم ببغداد، وطمع فيهم العامة، فانحدروا إلى واسط، فخرج إليهم عامتها وأتراكها، فقاتلوهم، فدفع الديلم عن أنفسهم، وقتلوا من أتراك واسط وعامتها خلقاً كثيراً، وعظم أمر العيارين ببغداد، فأفسدوا ونهبوا الأموال[٤].

وفيها توفي الحاجب أبو طاهر سباشي المشطب، وكان كثير المعروف، وأبو الحسن الهماني، وكان متولي البصرة وغيرها، وهو الذي مدحه مهيار بقوله:

أستنجد الصبر فيكم، وهو مغلوب

(١) ذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٢١)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٥٠).
(٢) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٣٣٢)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ١٢٧).
(٣) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٣٣٢)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٥٠).
(٤) ذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٢١).

وفيها قدم سلطان الدولة بغداد، وضرب الطبل في أوقات الصلوات الخمس، ولم تجربه عادة، إنما كان عضد الدولة يفعل ذلك في أوقات ثلاث صلوات[١].

وفيها هرب ابن سهلان من سلطان الدولة إلى هيت، وأقام عند قرواش، وولى سلطان الدولة موضعه أبا القاسم جعفر بن أبي الفرج بن فسانجس، ومولده ببغداد سنة خمس وخمسين وثلثمائة.

وفيها كانت ببغداد فتنة بين أهل الكرخ من الشيعة وبين غيرهم من أهل السنة اشتدّت.

وفيها استتاب القادر بالله المعتزلة، والشيعة، وغيرهما من أرباب المقالات المخالفة لما يعتقده من مذاهبهم، ونهى عن المناظرة في شيء منها، ومن فعل ذلك، نكل به وعوقب[٢]/ . ج٧/٢٩٩/ط

(١) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ٤٤٢)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٢٢).

(٢) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ٤٤٢)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ١٢٥، ١٢٦)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٤٠٨ هـ) (٢٧)، وذكره اليافعي في «مرآة الجنان» (٣/ ٢٢)، وذكره ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» (٣/ ١٨٦).